

سورة الشورى (الآيات: 44-47)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف فضل الاستجابة لله سبحانه.
- 2- أن أستنتج تجليات قدرة الله عز وجل ومشئئته في خلقه.
- 3- أن أحمد الله سبحانه في كل أحوالي.

تمهيد

بعد بيان الله سبحانه في الآيات السابقة أحوال الضالين عن طريقه المستقيم ، وعاقبتهم يوم القيامة؛ دعاهم في هذه الآيات إلى الاستجابة لأمره وطاعته ، موضحاً حدود مهمة رسوله ﷺ ، ومنوها بشمول قدرته ونفوذ حكمته في قسمة الذرية .
فكيف تكون الاستجابة لله تعالى؟ وما هي تجليات قدرته وحكمته في قسمة الأولاد؟

الآيات

قال الله جل وعلا: ﴿إِسْتَجِيبُوا لِلرَّكْعِمْ مَرَّ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مُّجَاجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ۝٤٤ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا أَنْ عَلَيْهِمُ الْإِلَاحُ الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِلَاحُكُمْ فَتَنَا إِلَاحُكُمْ مِّنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا فَعَلَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ إِلَاحُكُمْ جُورٌ ۝٤٥ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَفْقَهُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَفْقَهُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۝٤٦ أَوْ يَزْوَجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٤٧﴾ [سورة الشورى: 44-47]

الفهم

الشرح:

لَا تَرَدُّ لَهُ، مِنَ اللَّهِ: لا أحد يرده ويرجعه بعد حكم الله به .

مَلْجَأًا: مخلص .

حَمِيضًا: رقيقا .

يَلْقَبُ: يرزق .

استخلاص مضامين الآيات:

1- إلى ماذا دعت هذه الآيات؟

2- ما مظاهر قدرة الله في الخلق وقسمة النسل؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: الدعوة إلى الاستجابة لله سبحانه

حث الله عباده في هذه الآية على الاستجابة لأمره ، فقال سبحانه: ﴿إِسْتَجِيبُوا لِلرَّحْمَنِ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا تَمْرَدُ لَهُ، مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّالٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي: أجيئوا ربكم إلى ما دعاكم إليه ، وقوله: ﴿لَا تَمْرَدُ لَهُ،﴾ أي: «لا رجوع له ولا بد من وقوعه ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بقوله: ﴿يَأْتِي﴾ أو بقوله: ﴿لَا تَمْرَدُ لَهُ،﴾ ، أي: لا يرده الله» [التسهيل: 2/ 135] ﴿مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي: إنكار ، يعني: لا تنكرون أعمالكم .

وقوله سبحانه: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّالٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي: «ليس لكم مخلص من العذاب ، ولا تقدرون أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم ، والنكير الإنكار ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَمِيضًا﴾ رقيقا

﴿إِنِّي عَلِيمٌ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾ ما عليك إلا تبليغ الرسالة وقد فعلت ﴿وَإِنَّا إِذَا أَعْلَفْنَا إِلَّا نَسْلًا﴾ المراد الجمع لا الواحد ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة وسعة وأمناً وصحة ﴿بَرِحَ بِقَا﴾ بَطَرَ لأجلها ﴿وَإِن تَصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلاء، كالمرض والفقر ونحوهما. وتوحيد فَرَحَ باعتبار اللفظ، والجمع في ﴿وَإِن تَصِبُّهُمْ﴾ باعتبار المعنى ﴿بِمَا فَدَمَتِ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب معاصيهم ﴿بِقَاتٍ إِلَّا نَسْلًا كَفُورٌ﴾ ولم يقل: فإنه كفور، ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم، كما قال ﴿إِنَّا إِلَّا نَسْلًا لِّخُلُومٍ كَقَبَارٍ﴾ [إبراهيم: 36] والكفور: البليغ الكفران. والمعنى: أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمرها، قيل: أريد به كفران النعمة، وقيل: أريد به الكفر بالله تعالى» [تفسير النسفي: 260/3-261].

ثانياً: تفرد الله عز وجل بالخلق ونفاذ المشيئة والتصرف

بين الله سبحانه قدرته في خلق السموات والأرض وتصرفه في خلقه وفق مشيئته وإرادته، فقال عز وجل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَتَّبِعُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا قَدِيرٌ﴾ أي: «يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء، و﴿يَتَّبِعُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا قَدِيرٌ﴾ أي: يرزقه النبات فقط، ﴿أَوْ يَزْوَجُهُمْ كُرَانًا وَإِنَّا وَبِجَعْلٍ مَنْ يَشَاءُ عَظِيمٌ﴾ أي: ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ أي: لا يولد له» [تفسير ابن كثير: 216/7].

وقدم الإناث اعتناءً بهنّ وتأنيساً لمن وهبهن له. قال واثلة بن الأسقع: من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر؛ لأن الله بدأ بالإناث. وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام، فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد ﷺ جمع الإناث والذكور، ويحيى كان عقيماً. والظاهر أنها على العموم

في جميع الناس ، إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر ، وفي الآية من أدوات البيان التقسيم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ فَذِيرٌ﴾ «يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يخلق ، وقدرة على خلق ما يشاء ، لا يعزب عنه علم شيء من خلقه ، ولا يعجزه شيء أراد خلقه» [تفسير الطبري: 558/21].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- وجوب الاستجابة لله سبحانه وطاعته استعدادا لليوم العظيم .
- المؤمن دائم الاستجابة لله والشكر له والرضا بقضائه في السراء والضراء ، والكافر يفرح بالسراء ويكفر عند الضراء .
- عدم القنوط من رحمة الله ساعة الشدة ، فإن مع العسر يسرا .
- النهي عن الاعتراض على مشيئة الله وقسمته ، فهو سبحانه يتصرف في ملكه وفق مشيئته وحكمته .

● التقويم

- 1- أستخلص من الآيات عاقبة الإعراض عن الله تعالى .
- 2- أستنتج من الآيات القيم التي تضمنتها .
- 3- كيف أتمثل خلق الرضا بقضاء الله وقدره في حياتي .

● الاستثمار

أكتب موضوعاً إنشائياً انطلاقاً من قول الله سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَقْبَلُ مَا يَشَاءُ إِنَّ لَنَا أَوْيَاتٍ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ كُوراً أَوْ يَزِيدُهُمْ كُوراً﴾. أبرز فيه معاني أسماء الله الحسنى الواردة في الآيتين، وأبين أثر اليقين بها في تزكية نفسي والتخلق بخلق الشكر والرضى والافتقار والأدب مع الله تعالى.

● الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 48 - 50 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعيناً بتوجيهات الأستاذ(ة):

- 1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَحياً - مِنْ قُرْآنٍ حَجَابٍ - تَصِيرُ الْأُمُورُ .
- 2- أبحث عن أنواع الوحي، وأحدد ما خص به رسول الله ﷺ منها.